كتاب
عقيدة أبي العلاء

يتضمن بحثا تاريخيا أدبيا في عقيدة حكيم الشعراء
« أبي العلاء المعري »
ودفع ما نسب اليه من الالحاد والحيد عن الشرائع

« وضعه

« حسين فتوح »

سكرتير مدرسة العقادين الاميرية بالقاهرة

طبع بمطبعة هنديه بالموسكي بمصر
سنة ١٣٢٨ هجرية — ١٩١٠ ميلادية

كتاب

عقيدة أبي العلاء

يتضمن بحثا تاريخيا أدبيا في عقيدة حكيم الشعراء

« أبي العلاء المعري »

ودفع ما نسب اليه من الالحاد والحيد عن الشرائع

« وضعه »

حسين فتوح

سكرتير مدرسة العقادين الاميرية بالقاهرة

طبع بمطبعة هنديه بالموسكى بمصر

سنة ١٣٢٨ هجرية — ١٩١٠ ميلادية

« اهداء الكتاب »

الى من خاض بثاقب فكره لجج العلوم . واهتدى بنافذ بصيرته الى غوامض الأمور وعويص المسائل . فكان فيلسوفا لا يبارى وحكيما لا يشابه

الى من صبر على تجرع الغصص . وتجلد على احتمال عاديات الأيام . ولم يتضعضع لريب الدهر . فكأنه الطود لا تزحزحه العواصف ، أو البحر لا تكدره الدلاء

الفيلسوف القدير والشاعر الحكيم

« أبي العلاء المعري »

فهو وان كان غائباً بجسمه . فانه حاضر بروحه . حي بآرائه وأفكاره التي هي أس الفضل والحكمة . وأرومة العلم والأدب . وحبذا من أقدم كتابي اليه . فمنه كتبت واليه أهديت .

« حسين فترح »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أنبيائه اجمعين . الذين هدوا الناس الى الحق . وأبعدوهم عن مسالك الغواية والضلال . وأخذوا بأيديهم الى سبل الرشاد واليقين .

« وبعد » فكلما صوبت طرفى فيما نسب الى « أبي العلاء » ظلما وأفكا . من الاقوال والاحاديث التى تنبو عنها الانظار وتمجها الاسماع . وألفيت بعض الناس ينظرون اليه نظر السخط والغضب . وقد غضوا بصرهم عن محكم أقواله . وحولوا افكارهم عن مغازى أشعاره . وصرفوا نظرهم عن مبادئه القويمة . وأعرضوا عن منازعه الشريفة . وجدت لذلك في مشاعرى مسا أليما موجعا . وفى نفسى استياء عظيما مشجناً . وقد يشاركنى فى هذا الشعور . نفوس خلصت فى هذا الحكيم نيتها . وصفت طويتها

لذا طمحت نفسى الى اظهار حقيقة جحدها المكابرون حقداً . وأطفأ نورها المبطلون ظلما . حتى تنطلق النفوس من

عقال ما خالجها من الأسى والألم . فألقيت محاضرة في نادى الجيزه الادبى . ضمنتها بحثا في عقيدة أبى العلاء ودفع ما نسب اليه من الالحاد والحيد عن الشرائع . ومع ما تركت من الأثر الحسن أرانى مضطرا الى نشر هذه المحاضرة بطريقة أعم مع التوسع في مواضع منها . على أكشف بعض ما غمض من آثار هذا الحكيم . وأبين شيئاً مما استغلق من احواله . واستبهم من أخلاقه

فدحلت هذا المضمار مرتاح الوجدان مطمئن النفس منتصرا لحقيقة كاد الباطل يمحقها . حتى لا تكفر لهذا الفيلسوف حسنيته ، ولا يجحد فضله . في عصر ساد فيه الحق وانخذل الباطل . والله الهادى الى اقوم سبيل .

حسين فتوح

تمهيد

لاستقراء تاريخ الامم أو الافراد ومعرفة أحوالهم واخلاقهم وعقائدهم . شرطان يجب ان يتوفرا فيمن اراد سلوك هذا الطريق . بل خلتان ينبغي للانسان أن يتحلى بهما اذا ما وضع نفسه موضع الناقد البصير . وسجيتان ما اجتمعتا في مخلوق ألا وكانتا له حصناً يقيه من الباطل ويعصمه من الزلل . هما التدبر والحكمة

ولم يتناول درة الحق غائص   من الناس الا بالروية والفكر

لهذا لا يكفي في معرفة احوال الاولين النظر في أخبارهم المسطورة نظرا بسيطا عاريا عن الأناة والتدبر . بل يلزم الباحث أن يجعل هاتين الخلتين نصب عينيه في كل نظرة يلقيها على هاتيك الأساطير

كما أنه يتحتم عليه ان يكون ثاقب النظر . بعيد المرمى . شديد التثبت . فلا يلبس الحق بالباطل حتى يصل بذلك الى الصواب وينكب عن الخطل والشطط . ويكون قوله الحجة الدامغة التي لا يقدح في صدقها

أما اذا اعتمد فى معرفة هاتيك الأخبار على مجرد النقل ، ولم يحكم فيها النظر ولم تراع أحوال الاجتماع الانسانى لا يسلم فيها من المين وزخرف القول والحيد عن جادة الصدق

وكثيرا ما وقع المؤرخون فى الأفك والتخرص وتاهت بصائرهم عن بحثه وتمحصه وجرى فى مخيلاتهم مجرى الحقيقة واحتملوا فيه مظنة الصدق فنقلوه الى من بعدهم جزافا غير حاسبين أنهم أرجفوا أرجافا وخاضوا فى الأخبار المفتراة من حيث لا يعلمون

ذلك لأنهم اعتمدوا فى الأخبار على مجرد النقل بغير تحكيم العقل والبصيرة فيها . فضلوا عن الحق وافتروا على الناس الكذب . ونطقوا بطلا

واذا بحثنا عن سبب هذا الخطأ وجدناه ناشئا من غفلة المؤرخ عن التنقيب وراء هذه الأخبار والبحث عن حقيقتها . واذا كان هذا حاله فانه يلقى القول على عواهنه بغير ان يحاسب ضميره على خطأ أو تعمد ولا يطالب نفسه فى خبر بتوسط أو اعتدال . فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال فى قبول

الخبر أعطته حقه من التمحيص والتدقيق حتى يتبين لها صدقه من كذبه . أما اذا خامرها شئ من الوهم فانها تعمى عن الحقيقة الناصعة بما داخلها وغشى بصيرتها من الترهات والأباطيل

فكان واجبا على المؤرخ ان يتدبر ذلك ويجعله نبراساً يهتدي به الى حقائق ما يدون من الاخبار ولا يطلق لهواه عنانه . ويهيم فى بيداء الضلالة . ويعرض عن الحق ويشترى لهو الحديث ليصد عن سبيل الله وانها لصفقة خاسرة

هـذا كان نصيب الحكيم أبى العلاء المعرى من بعض المؤرخين . فان كثيرا منهم لم يذكر أخباره عن المشاهدة او السمع . بل نقلها متوهما فيها الصدق وبناها على الظن والتخمين .

فبينا نجد بعضهم يخبر باختلاف الناس فى صحة عقيدته نجد الآخر يعرفه بالحيرة فيها والثالث يرجح الحاده . وغيره يقطع به ويوردون عنه أمورا وينسبون اليه حكايات ما أنزل الله بها من سلطان يحسبونها دليلا لقولهم وما هى منه فى شئ مثلها كمثل الذهب الزائف يذهب طلاؤه وتظهر حقيقته عند حكه واختباره . كذلك هذه الأمور والحكايات يظهر كذبها

لأول وهلة عند مجرد النظر اليها بعين التعقل والحكمة

أما هؤلاء المؤرخون فلم يريدوا أن يحملوا أنفسهم عناء التحقق من صدق هذه الأخبار أو كذبها بل نقلوها وهم غافلون كما قدمنا عن الناقد والمتعقب للأخبار والوقائع

وليس الأمر بواقف عند هذا الحد بل الطامة الكبرى التي جلبت على أبي العلاء وضرابه من الأئمة والعلماء وعظماء الرجال ذلك الكذب والتمويه انما هي (الحقد والحسد) نعوذ بالله منهما . فان النفس اذا خالجها شيء منهما عميت عن محاسن المحسود والمحقود عليه واجتهدت في إلصاق التهم والأباطيل به ووجدت منهما غطاء كثيفا على عين بصيرتها يحجبها عن الانتقاد والتمحيص

كذلك كان حال ابي العلاء مع بعض معاصريه فانهم لما رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم ولم يبلغوا شأوه فيه . بل امتاز عنهم وعجزوا عن مجاراته ثم ظهر للملأ انحطاط مداركهم وتفوقه عليهم في المكانة والمواهب . حنقوا من جراء ذلك عليه واتقدت نيران الحقد في قلوبهم ثم علا لهيبها الى أفواههم فجملوا ينطقون بما لا يعون . وفي ذلك يقول أبو العلاء

تعاطوا مكاني وقد فتهم فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحوني وما هجتهم كما نبح الكلب ضوء القمر

خالوا أنهم ينالون منه بالقدح في عقيدته . فاتهموه في دينه وأنكروا عليه الايمان بالرسل والبعث والنشور . وما الدين الا سلاح العاجز عن منازلة قرنه يشهره لدى ضعيفي الأحلام متى تحقق الفشل والخذلان ليكون طريقا آخر يدخل به عليهم غانما ظافرا . وذلك انما هو تفنن في الشماتة بالعدو والحسد للقرين . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »

ولقد تلقى كثير من المؤرخين مثل هذه المفتريات من غير بحث ولا روية ونقلها عنهم الكافة من ضعيفي النظر واندرجت في محفوظاتهم لتكون شاهدا لأبي العلاء يوم يأتي الى ربه شاكيا كذبهم وافتراءهم طالبا الانتصاف من الخصوم

فجدير بنا ونحن في القرن العشرين عصر النور والعرفان ان لا يظل أبو العلاء مهضوم الحق بيننا . غير معطى قسطه من الأجلال والاكبار

وقبيح بنا ونحن في هذا العصر عصرا العدل والحق أن ندع كلمته التي قالها عن نفسه « أنا شيخ مكذوب عليه » تمر علينا بغير ان نهبها جانبا عظيما من الالتفات والروية ولا ندفع عنه هذا الكذب والبهتان بالحق الصراح والبرهان

فأنه ان جاز لاسلافنا أن يتركوا أبا العلاء مهملا في زوايا الظلم والافتراء فلا يجوز لنا ونحن الآخذون بتلابيب الحق أن يحرم بيننا انسان من الاعتراف له بأهم شيء في هذا الكون الفاني . ألا وهو صحة الايمان وصدق العقيدة . لا لسبب سوى غل كمن في نفوس دنيئة . حتى لا يحق علينا قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

﴿ المبحث الاول ﴾

« في تاريخ أبي العلاء ودفع ما نسب اليه من اقوال « الملحدين وغيرها »

ولكي يكون البحث في هذا الموضوع على أساس ثابت يحسن أن أذكر موجزا ترجمة حياته مع اثبات شيء من الأقوال المنسوبة الى ابي العلاء من خصومه ونقلها عنهم

المؤرخون كما أسلفنا بغير مناقشتها أو فحصها . مستشهداً في كذب نسبتها اليه بدفاع المنصفين من المتقدمين عنه وبأقوال أبي العلاء ذاته لتكون بمثابة دفاع عن نفسه يقدمه وهو في قبره الى خير محكمة عرفت بالعدل والحكمة . هي محكمة الضمائر الطاهرة والعقول الراجحة ليكون التحكيم مبنيا على أساس العدل وأصول الشرائع

« ترجمة ابي العلاء المعري »

أبو العلاء هو احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري(١) ولد بمعرة النعمان لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة هجرية . مرض بالجدري في السنة الثالثة من عمره فعمي منه . غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى

(١) التنوخي بفتح التاء وضم النون المخففة نسبة الى تنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التناصر وأقاموا هناك فسموا تنوخا والتنوخ الاقامة وهذه القبيلة احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب . والمعري بفتح الميم والعين وتشديد الراء نسبة الى معرة النعمان وهي بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشيزر وهي منسوبة الى النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه فانه سكنها فنسبت اليه

جملة وهو مجدور الوجه نحيف الجسم . قرأ النحو على أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبد الله بن أسعد النحوي بحلب . كان متضلعا من فنون الادب واللغة . وله التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة . فله من النظم (لزوم ما لا يلزم) وله (سقط الزند) شرحه بنفسه وسماه (ضوء السقط) وكان علامة عصره وأخذ عنه أبو القاسم على بن المحسن التنوخي (١) والخطيب أبو زكريا يحي التبريزي (٢) وغيرهما

لما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي وقرئ عليه أخذ الجماعة في وصفه وإطرائه فقال ابو العلاء « كأنما نظر المتنبي اليّ بلحظ الغيب حيث يقول »

---

(١) أبو القاسم على بن المحسن التنوخي كان اديباً فاضلا اخباريا محققا وكان يصحب أبا العلاء وأخذ عنه كثيرا وكانت بينه وبين الخطيب ابي زكريا التبريزي مؤانسة والحساد بطريق أبي العلاء المعري واليه كتب أبو العلاء قصيدته التي اولها « هات الحديث عن الزوراء او هيتا » تقلد قضاء عدة نواح وتوفى سنة ٤٤٧ هـ (٢) أبو زكريا يحي ابن على التبريزي المعروف بالخطيب احد أئمة اللغة كانت له معرفة تامة بالادب قرأ على ابي العلاء وغيره من العلماء وكانت ولادته سنة أحدى وعشرين وأربعمائة وتوفى يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن بها .

« أنا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صمم »

واختصر ديوان ابي تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب) وديوان البحتري وسماه (عبث الوليد) وديوان المتنبي وسماه (معجز احمد) وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها وما آخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم

رحل الى بغداد مرتين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم رجع الى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار اليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمى نفسه (رهن المحبسين) للزومه منزله ولذهاب عينيه . وكان زاهدا تقيا مكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهدا اكتفاء باليسير من العدس والشعير وكان لباسه القطن وفراشه اللباد . وكان رحمه الله يقول

أراني في الثلاثة من سجوني   فلا تسأل عن الخبر النبيث(١)
لفقدي ناظري ولزوم بيتي   وكون النفس في الجسد الخبيث

وكان مفرطا في الذكاء شديد الحافظة . عمل الشعر وهو ابن

(١) النبيث الذي فيه شر

احدى عشرة سنة وتوفى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين واربعمائة بالمعرة . وقد كان على قبره عند دفنه نحو من مائة وثمانين شاعرا ورثاه منهم اربعة وثمانون منهم فقهاء ومحدثون وصوفية

﴿ ما نسب الى أبي العلاء من الاقوال والمذاهب ﴾

ذكر عنه بعض المؤرخين انه كان لا يأكل اللحم تدينا لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يعذبوا الحيوان بذبحه وهم لا يرون الأيلام مطلقا في جميع الحيوان . واستشهد بمرثية تلميذه أبي الحسن علي بن همام القائل منها

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفنى دما

حيث اعتبر الشطر الأول من البيت اشارة الى ما كان يعتقده أبو العلاء من عدم الذبح كما تقدم ذكره

ويعجبني في رد هذه العبارة قول العلامة عمر قاضي القضاة الشهير بابن الوردى (١) بعد نقله لمرثية أبي الحسن

---

(١) هو القاضي عمر بن مظفر بن عمر زين الدين بن الوردي كان اماما فقيها وشاعرا أديبا تفنن في العلوم وله تآليف ثمينة في

« قول تلميذه لم ترق الدماء زهادة يدفع قول من قال أنه لم يرق الدماء فلسفة ونسبه الى رأي الحكماء وتلميذه أعرف به ممن هو غريب يرجم بالغيب . وما ذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمسا وأربعين سنة زهادة وقد قال المكي (١) في قوت القلوب « أباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن ولما أتى رسول الله أهل قباء بشربة من لبن مشوبة بعسل وضع القدح من يده وقال « أما أني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله تعالى » . وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية » انتهى قول ابن الوردي

على ان الامتناع عن أكل اللحم مهما كانت الأسباب

التاريخ والجغرافية توفي سنة ٧٤٩ (وقيل ٧٥٠) وكانت ولادته كما قال في تاريخه سنة ٦٩١ هـ بمعرة النعمان

(١) هو ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة وله مصنفات في التوحيد. كان من اهل الجبل واسب الى مكة لاقامته بها وكان يستعمل الرياضة كثيرا حتى قيل انه هجر الطعام زمنا واقتصر على أكل الحشائش المباحة . توفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد ودفن بها

الداعية له ليس في ذاته مرا إذ يجعل الانسان في مصاف الجاحدين المستكبرين . بل هو عمل قد يؤدي بالانسان الى فضيلة هي تربية النفس على ترك لذاتها وكفها عن الاندفاع في شهواتها بما منحت من سلاح الصبر وقوة العزيمة . ولا ينشأ هـذا الاعتقاد في شخص ألا خشية من الله ومراقبته لجانب الحق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ازهد في الدنيا يحبك الله »

بيد أنا اذا غضضنا الطرف عن كل هذه الاقوال ورجعنا الى ما اتفق عليه أعداء أبي العلاء قبل محبيه من زهده وعزلته وتمسكنا بقول الأكثرين عنه أنه كان صوفيا ورعا ـ يتبين أن امتناع أبي العلاء عن أكل اللحوم ما كان الا من قبيل الرياضة التي يتخذها المتصوفون والمنقطعون للعبادة سبيلا الى تهذيب النفس وردعها عن هواها

والذي يدعو الى الغرابة والدهش ان يؤول قول الى غير ما قصد به او تخفى أمور اذا برزت كانت برهانا ماضيا يبين الحقائق ويطمس الأباطيل

ذلك ان الامير ابا الفتح المعري (١) ممن شاطروا ابا الحسن عليا بن همم في رثاء ابي العلاء . فما سمعنا لقول أبي الحسن الا تأويلا باطلا ولا لمحنا قول ابي الفتح الا في بطون الكتب بعد ما أغفله كثير من المؤرخين ولم يشيروا اليه كأن لم يرقهم ان يتصف ابو العلاء بما جاء فيه خوف تجلي تقواه وطاعته (والله عليم بذات الصدور)

وهاكم ما قاله الأمير ابو الفتح من قصيدة طويلة

لو فاضت المهجات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الأدمع

تتصرم الدنيا وتأتي بعده أمم وانت بمثله لا تسمع

لا تجمع المال العتيد (٢) وجد به من قبل تركك كل شيء تجمع

وان استطعت فسر بسيرة احمد تأمن خديعة من يغر ويخدع

---

(١) هو أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري كان من الشعراء المجيدين يستشهد المؤرخون بشعره في مواضع كثيره وكان منقطعا الى دولة آل مرداس بحلب وتوفي في حدود الخمسماية للهجرة . سمي بالأمير لأنه لما امتدح نصر بن ابي صالح بحلب قال له تمنّ . قال أتمنى أن أكون أميرا فجعله أميرا يجلس مع الامراء ويخاطب بالأمير (٢) العتيد . الحاضر المهيأ

رفض الحياة ومات قبل مماته   متطوعاً بأبر ما يتطوع
عين تسهد للعفاف وللتقى   أبداً وقلب للمهيمن يخشع
شيم تجمله فهن لمجده   تاج ولكن بالثناء يرصع

فلو ان هؤلاء المؤرخين فقهوا الى مثل هذا القول او تنبهوا اليه قبل تسجيل هذه الامور على ابي العلاء لما اتسع الخرق الى هذا الحد ولما سبقوا الى الوقوع في هذا الخطأ بقصد او بغير قصد

أما الاشعار المنسوبة اليه فمنها قوله

قلتم لنا صانع قديم   قلنا صدقتم كذا نقول
ثم زعمتم بلا مكان   ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء   معناه ليست لنا عقول

وقوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله   وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا(١)
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر   وأن جميع الخلق من عنصر الزنا

وله

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت   ومجوس حارت واليهود مضلله

(١) الخنا هو الفحش

اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

وله ايضاً

دين وكفر وانباء تقال وفر قان ينص وتوراة وانجيل
في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل

غيره

قران المشترى زحلا يرجى لايقاظ النواظر من كراها
تقضى الناس جيلا بعد جيل وخلقت النجوم كما تراها
تقدم صاحب التوراة موسى واوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي اتاه وقال الآخرون بل افتراها
وما حجي الى احجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذراها
اذا رجع الحكيم الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

وله ايضاً

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار
تحكم ما لنا الا السكوت له وان نعوذ بمولانا من النار

وهكذا من نظير هذه الأباطيل التي تشمئز منها القلوب وتنفر عنها الخواطر . فان حكيما كأبي العلاء عرف بحصافة الرأي والحكمة وحاز لاتصافه بهما مكانا عليا وذكرا مجيدا طبق الخافقين . لا يتسنى

له ان يهذو في قوله الى هـذا الحد الذي يدهوره الى الحضيض ويسفل به الى هاوية الاذلال والاحتقار ويعرض نفسه الى خطر الظهور بهذه الاقوال الفاسدة وسط قوم جمعوا بين شدة البداوة وسذاجة الدين

حكي عن بشار بن برد (١) انه كان صديقا لواصل بن عطاء الغزال (٢) قبل أن يظهر بشار مـذهبه المكروه فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عنـد ذلك « أما لهذا الاعمى الملحد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله . أما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا المغيرية لارسلت اليه من يبقر بطنه في جوف منزله على مضجعه او في يوم حفلة ثم

(١) هو أبو معاذ الملقب (بالمرعث) بضم الميم وفتح الراء وتشديد العين وهو الذي في أذنه رعث وهو القرط . لقب بذلك لانه كان مرعثاً في صغره . اصله من طخارستان . وكان اكمه اعمى وهو من شعراء الدولة الأموية والعباسية له الرياسة والتقـدم بالاجماع على محدثي الشعراء . كان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ومن المقربين اليه وتوفى سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة في البطيحة بالقرب من البصرة بسبب ضربه بالسياط كما سيذكر بعد (٢) هو ابو حذيفة أحد أئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره توفى سنة ١٨١ هـ

كان لا يتولى ذلك الا عقيلي (١) او سدوسي »

هـذه أماني واصل بن عطاء نحو بشار بن برد بعد ما كان بينهما من الصداقة . ومع هذا فان بشارا لم ينج من الجزاء

ذلك انه رمى بالزندقة عند أمـير المؤمنين المهـدي بن المنصور فلم يشفع له تقربه منه أو رياسته على شعراء تلك الدولة بل أمر بضربه فضرب سبعين سوطا فمات منها على الاثر .

فما بال أبي العلاء قد سلم من غوائل ذلك المذهب وقد كان كثير الاعداء والمتحفزين له بالوقيعة

اللهم ان هذا لدليل على انه لم يتفوه بكلمة زيغ تثبت عليه الالحاد والحيد عن الايمان . ولولا هذا لـكان نصيبه ما لحق (بشار بن برد) وعبد الكريم بن ابي العوجاء (٢) وما اصاب صالح بن عبد القدوس (٣) وما وقع للوليد بن يزيد بن عبد

---

(١) نسبة الى عقيل بن كعب وهي قبيلة كبيرة كان بشار مولى لها . وسدوسي نسبة الى بني سدوس قبيلة كان بشار ينزل فيهم

(٢) أمر محمد بن سليمان والي الكوفة من قبل المنصور بالقبض عليه وقتله جزاء الحاده ودس الاقوال المكذوبة في الاحاديث النبوية

(٣) أمر امير المؤمنين المهدي بقتله على الزندقة وصلبه على الجسر ببغداد ردعا لغيره واتعاظاً

الملك من القتال غيلة لتهتكه في الالحاد والزندقة وغيرهم من الملحدين ·

وبديهي ان عقابا على هذا النحو من الشدة يمنع بغير شك من الجهر بالالحاد فضلا عن التطرف فيه على النهج الذي زعموا ان ابا العلاء سلك سبيله · خيفة القتل كما تبين من الامثال

على ان حكيما لم يسبقه احد من الحكماء او الشعراء في حكمه العالية وآرائه السديدة · محال عليه ان يغالي في العتو الى هذا القدر ويستكبر في التمرد الى حد يغضب الناس اجمعين · فيجحد الخالق ويستخف بالاديان ومقام الانبياء · ويتهاون بالشرائع · وينكر الكتب المنزلة · ويصغر من شأن البيت الحرام ذلك البيت الذي ذادت العرب عن ذماره في كل ادوار حياتهم ومجدوه التمجيد اللائق به

هذا فضلا عن ان أمورا كهذه لا يصح صدورها من انسان حائز لذرة من العقل والبصيرة · اللهم الا اذا جردناه من صفات الانسانية وسلبنا منه كل مميزاتها فصار هو والحيوان في مستو واحد يهيم معها في بيداء الحماقة والجهل

اما وهذا الحكيم من أسمى الناس عقلا واوسعهم جنانا

وأخلصهم قلباً . فان العقل والذوق لا يقبلان نسبة هذه المفتريات اليه مع ظاهر بطلانها وفسادها

كما انه اذا ألقى الانسان نظرة الى ما افترى عليه من الاشعار وقارنها بأقواله الصريحة والعديدة في البعث والنشور والزهد والحكم . لأيقن ان ابا العلاء الذي سما شعره الى أعلى ذرى الكمال في البلاغة والفصاحة يستحيل عليه ان ينزل الى هذا الحد من السفالة ويقصر في شعره الى درجة هي منتهى الركاكة والابتذال

ولئن قال قائل ان من تلك الاشعار ما هو متناسب الفقر . متخير الالفاظ . فانا لا ننكر ان بين الذين هجوا ابا العلاء شعراء مجيدين امثال (ابي جعفر(١) البجائي الزوزني) وغيره . وهم قادرون على صوغ ما يدعونه في قالب من الابداع وحسن التصوير بحيث تجوز به الحيلة على قصيري النظر وضعاف الاحلام . بل من ردد قول منصفيه من المتقدمين لا يسعه الا ان يبت بأن كل ما نسب الى ابي العلاء من هجر الدين والحيد

---

(١) هو عبد الله بن جعفر البجائي الزوزني كان من مشاهير الشعراء والادباء . حسن الكلام توفي سنة ٤٣١ هجرية

عنه وغير ذلك من الاقوال باطل لا محالة في بطلانه ولا مسحة عليه من الصحة والاصابة

قال ابو اليسر المعرى « ان ابا العلاء كان يرمى من اهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها اقوال الملحدة قصدا لهلاكه وايثاراً لاتلاف نفسه وفى ذلك يقول ابو العلاء »

حاول إهوانى قوم فما واجهتهم الا باهوانى
وقولونى بمقالاتهم فغيروا نية اخوانى
لو استطاعوا لوشوا بى الى المريخ في الشهب وكيوان

***

فاذا تبين من قول ابى اليسر ان تلك الاقوال معمولة على لسانه ومفتراة عليه . ولم ننس قول اكثر المؤرخين عنه انه قد تلاعب الشعراء بهجائه وتذكرنا قوله عن نفسه « انا شيخ مكذوب عليه » وقول الصاحب كمال الدين بن العديم (١) « انه اعتبر من ذم ابا العلاء ومن مدحه فوجد

(١) هو عمر بن احمد بن هبة الله الصاحب رئيس الشام كمال الدين العقيلى المعروف بابن العديم ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة

كل من ذمه لم يره ولا صحبه . ووجد كل من لقيه هو المادح له . اتضح بأجلى بيان أن أبا العلاء كان هدفا لسهام الكاذبين والمتخرصين من منافسيه وحاسديه . وتنفض عنه غبار الريب والشكوك . وبرئ من تلك الأقاويل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

﴿ المبحث الثاني ﴾

« في الحكايات المكذوبة عليه »

أما الحكايات المختلقة عليه فمنها ما قيل « أنه لقيه رجل فقال لم لم تأكل اللحم فقال أرحم الحيوان . قال فما تقول في السباع التي لا طعام لها الا الحيوان . فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه . وأن كانت الطبائع المحدثة لذلك . فما أنت بأحذق منها ولا أتقن . فسكت ! »

وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني « قال لي المعري . لم أهج أحدا قط . قلت له صدقت الا الأنبياء . فتغير لونه ! »

وتوفي سنة ست وستين وستمائة . كان محدثا فاضلا مؤرخا صادقا . منشئا بليغا

« ودخل عليه القاضي المناري فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه فقال . مالي وللناس وقد تركت دنياهم . فقال له القاضي وأخراهم . فقال . يا قاضي وأخراهم وجعل يكررها : »

وعن أبي زكريا الرازي . قال « قال لي المعري ما الذي تعتقده . فقلت في نفسي (اليوم يتبين لى اعتقاده) فقلت له ما أنا الا شاك . فقال لي . وهكذا شيخك : »

***

فاذا فرضنا حصول هذه الأحاديث والمناقشات وسلمنا بوقوعها جدلا . فان معاندا يصل به عناده الى حد هجاء الأنبياء والشك في اليقين . لا يمكن أن يعيي عن رد مثل هذه الأحاديث أو يعجز عن الأجابة عليها . مهما كان سقيم الحجة . ضعيف الحجاج . خامد الذهن . شأن كل متعنت يزدري بالحق ويتعلق بالباطل ويقيم الأدلة الواهية على اثباته زاعما أن الصواب في جانبه . وما هو في الحقيقة الا مكابر جحود . ولم يغب عن ذاكرتنا ما كان يجيب به ذوو الادعاءات الفاسدة في الازمان الخالية من عبارات السخف والحماقة برهانا لدعواهم وتأييدا لها .

أما وذاك المكابر هو أبو العلاء متين الحجة سديد البرهان الذي ما استظهر على خصومه الا بدليل العقل والحكمة فلا تصدق فيه هذه الأحاديث التي لا تنهض من رقدة البطلان لما اعتراها من الوهن والأفن

بيد أنه اذا كان نصيب ما ذكر عنه من أشعار الملحدين الكذب والافتراء . فمن باب أولى أن يكون ماروي عنه من الحكايات فاسدا مختلقا وليس في اختلاقها عناء او كلفة كالأقوال الشعرية . ولذا فاني لا أطيل التعرض الى هذه الحكايات أودحض ما فيها من الافتراء الظاهر . فان الناظر اليها بعين الحكمة والعدل يعطيها قسطها من الخطأ والغبن عند أقل تأمل فيها

بل من قاس الغائب بالحاضر وطابق بين الأجيال المتقدمة وجيلنا هذا من حيث اختلاق الاكاذيب والمفتريات . لوجد ان تلك الايام لم تقوم خلق حاسد . ولم تخمد تلهب حاقد . وأن ما اصاب ابا العلاء من معاصريه ومنافسيه يصاب به في وقتنا هذا نابغونا وكبار رجالنا جهلا وحقدا (وهم احياء يرزقون)

ذلك لاحتقارهم ما يأتي به الجهلاء من المنكرات والاباطيل وانكارهم لما يتمسكون به من الآراء الفاسدة . لا لقصد سوى اظهار الحقائق وكبح جماح ذوى المفاسد وتهذيب نفوسهم حيث يقول ابو العلاء

إن عذُبَ المين بأفواهكم — فان صدق بفمي أعذبُ
طلبت للعالم تهذيبهم — والناس ما صفوا ولا هذّبوا

﴿ المبحث الثالث ﴾

« فى اقواله فى شكوى الناس وتذمره منهم »

ان أقوال أبي العلاء مفعمة بشكوى الناس وتذمره من معاملتهم له وسوء مقاصدهم نحوه وكذبهم عليه وافترائهم . وذلك يؤيد النظرية المتقدمة من أن حساده هم الذين اختلقوا هذه الأقاويل حيث يقول

ورائى امام والأمام وراء — اذا أنا لم تكبرني الكبراء
بأي لسان ذامنى(١) متجاهل — عليّ وخفق الريح فيّ ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد — وكل كلام الحاسدين هراء

---

(١) يقال ذامه يذيمه اذا عابه والذام والذيم العيب وفى المثل (لا تعدم الحسناء ذاما)

ومن هو حتى يحمل الشطّ عن غى اليه وتمشي بيننا السفراء
وأنى لمثّر يا ابن آخر ليلة (١) وأن عز مال فالقنوع ثراء
ومذ قال أن ابن القنيه شاعر ذوو الجهل مات الشعر والشعراء
تساور رُخْل الشعر (٢) أوليث غابه ستماه وانت الناقة العشراء (٣)
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ونحن على قوالها أمراء
وأى عظيم رابـ (٤) أهل بلادنا فانا على تغييره قدراء
وما سلبتنا العز قط قبيلة ولا بات منا فيهم أسراء
ولا سار في عرض السماوة (٥) بارق وليس له من قومنا خفراء
ولسنا بفقرى يا طغام (٦) اليكم وأنتم الى معروفنا فقراء

* * *

على ان من البرهين ان ابا العلاء برئ مما نسب اليه

---

(١) قيل أن المرأة اذا حملت فى آخر ليلة من طهرها كان مذموما وهذا هو الشاهد فى قوله « يا ابن آخر ليلة ». (٢) المساورة المواثبة . شبه نفسه بالاسد فى عرين الشعر (٣) الناقة العشراء هى التى يكون مضى عليها من الحمل عشرة اشهر فتكون مثقلة بالحمل ضعيفة القوى (٤) يقال رابنى منه امر أى رأيت ما يكرهنى (٥) السماوة هى مفازة بالبادية معروفة بسماوة كلب (وبارق) اى سحاب ذو برق (٦) الطغام أو غاد الناس الواحد والجمع فيه سواء

هذه القصيدة الناطقة بتكذيب مادس عليه من الاقوال .
المصورة مقدار ماكان بينه وبين منافسيه من البعد والجفاء .
والتي يظهر من شديد لهجتها ان ابا العلاء ما نطق بها الا بعد
ان طفح كيل صبره . ونفدت حيله فى مداراتهم والسكوت
عنهم . فكان فى ذلك على حد قوله

سفاه ذاد عنك الناس حلم   وغى فيه منفعة رشاد

(وذلك انما عند العجز عن دفع الشر الا من هذا الطريق)

والذى لامرية فيه ان قوما وجهت اليهم هذه الاقوال القارصة .
بل السهام القتالة . محال عليهم ان يتركوها تذهب مع الريح دون
الانتقام لانفسهم من قائلها . وتطويق جيده باضعاف اضعافها
حتى تخف ثائرتهم وتهدأ لواعجهم . وتطيب جراحهم سيما اذا
كانوا على ما وصفهم ابو العلاء من الضعة والجهل . وهذه
نتيجة محتمة الوقوع اذاهمّ انسان لدفع طغيان ذوى الجهالة
وصد تيار الافاكين الباغين

كذلك قوله من القصيدة المشهورة التى يصف فيها حاله
مع معاصريه وحنقهم عليه لما بلغه من درجات الرقى والسؤدد
والتى مطلعها (ألا في سبيل المجد ما انا فاعل)

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ... ولا ذنب لي الا العلا والفواضل

كأني اذا طلت الزمان وأهله ... رجعت وعندي للانام طوائل

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... باخفاء شمس ضوؤها متكامل

يهم الليالي بعض ما انا مضمر ... ويثقل رضوى دون ما انا حامل

واني وان كنت الاخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الاوائل

***

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص كامل

وكيف تنام الطير في وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل

***

اذا وصف الطائي (١) بالبخل مادر ... وعير قسا (٢) بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية ... وقال الدجى يا صبح لونك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة

وفاخرت الشهب الحصى والجنادل (٣)

---

(١) يعني بالطائي حاتما الطائي الذي سار به المثل في الجود (ومادر) رجل من بني هلال يضرب به المثل في البخل . (٢) هو قس بن ساعدة الايادي كان من حكماء العرب واعقل من تسمع به وأما (باقل) فهو رجل من ربيعة وقيل من اياد ضرب به المثل في العي فقيل (اعيى من باقل)
(٣) الحجارة

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدى ان دهرك هاذل

وله من قصيدة اخرى

ارى العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطيق له عنادا

***

فظن بسائر الأخوان شرا ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى لما طلعت مخافة أن تكادا

***

فأى الناس اجعله صديقا واى الارض اسلكه ارتيادا(١)
ولو ان النجوم لدىّ مال نفت كفاى اكثرها انتقادا(٢)

وله

لا تقسنى على الذى شاع عنى ان دنياك معدن الخلاّب(٣)

وله

أراهم يضحكون الىّ غشا وتغشانى المشاقص(٤) والحظاء
فلست لهم وان قربوا أليفا كما لم تأتلف ذال وظاء

(١) ارتاد الموضع اذا تخيره لينزل فيه ومنه الرائد الذى يلتمس الخصب للقوم (٢) أى نقدا (٣) الخدّاع (٤) جمع مشقص وهو السهم الطويل (والحظاء) جمع حظوة وهى السهم القصير

وله

فلا يغررك بشر من صديق فان ضميره إحن وخبُّ (١)
ومن الناس طفل او كبير يشيب على الغواية او يشب

وله أيضا

يحسن مرأى لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذبُ
ما فيهم بر ولا ناسك الا الى نفع له يجذب
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

وله

نفوس تشابه أصحابها عتوا في زمانهم إذ عتتْ
ومايرتضي اللب عند البيان لا ما أتوه ولا ما أتت

غيره

يقول لك انعم مصبحا متوددً اليك وخير منه أغلب(٢) أصبحُ
رجوت بقرب من خليلك مربحا وبعدك منه في الحقائق أربح
اذا انت لم تهرب من الانس فاعترف
بطلس (٣) تمادى او ثمالب تضبح (٤)

(١) الخديعة (٢) الأغلب الاسد وكذلك الأصبح (٣) جمع أطلس وهو الذئب تدي في لونه غبرة الى السواد (٤) ضبحت الخيل

ولَه

المرء حتى يغيب الشبح مغتبق(١)همه ومصطبح(٢)
والخلق حيتان لجة لعبت وفي بحار من الأذى سبحوا
لا تحفلن هجوهم ومدحهم فانما القوم أكلبٌ نبحُ
ولا تهب أُسدهم اذا زأروا(٣) وقل تداعت ثعالب ضبحُ
لم يفطنوا للجميل بل جبلوا على قبيح فما لهم قبحوا
فمن تجر(٤) الوداد انهمُ لا خسروا عندهم ولا ربحوا
أقل منهمُ شرا ومرزئة ما ركبوا للسرى وما ذبحوا
فليتهم كالبهائم اعترفوا لجما اذا بان زيغهم كبحوا(٥)

وله أيضا

واذا حسدت فان شكر فضيلة ان لا تؤاخذ بالاساءة حاسدا
ومن الرزية ان تبيت مكافئا اصلاح من صحب الغريزة فاسدا

أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة

(١) اغتبق الرجل شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشي
(٢) اصطبح الرجل شرب الصبوح وهو ما يشرب في الصباح
(٣) الزئير صوت الاسد (٤) مصدر تجر تجرا وتجارة (٥) كبح الفرس رده باللجام

وقال

يلقاك بالماء النمير (١) الفتى ... وفي ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه ... ومثل حد السيف ما يعتقد

وله من قصيدة

وكم من طالب أمدي سيلقى ... دوين مكاني السبع الشدادا
يؤجج في شعاع الشمس نارا ... ويقدح في تلهبها زنادا
ويطعن في علاي وان شسعي (٢) ... ليأنف ان يكون له نجادا (٣)
ويظهر لي مودته مقالا ... ويبغضني ضميرا واعتقادا
فلا وأبيك ما أخشى انتقاصا ... ولا وأبيك ما أرجو ازديادا
لي الشرف الذي يطأ الثريا ... مع الفضل الذي بهر العبادا

وقال ايضا

اذا حان يومي فلا وسدت بموضع ... من الأرض لم يحفر به احد قبرا
هم الناس ان جازاهم الله بالذي ... توخوه لم يرحم جهولا ولا حبرا
يرى عننا في قرب حي وميت ... من الانس من حلى سرائرهم خبرا

---

(١) الناجع من الماء عذبا كان او غير عذب (٢) الشسع بكسر فسكون قبال النعل (٣) النجاد المرتفع من الشيء

فياليتني لا أشهد الحشر فيهم … اذا بعثوا شعثا رؤسهم غبرا

*
* *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » وكل هذه أقوال هي الحق لا ريب فيه . ممثلة لدرجة سخط أبي العلاء على معاصريه وبغضه لهم . لما كان يصيبه من أذاهم ومكايدهم التي قابلها بالاعراض عنهم والتحقير لسيء فعالهم

فاذن من الظلم البين ان نسمع هذه الحقائق الخالصة تذكر بيننا ويخالج ضمائرنا في قائلها ريب او يعترضنا في صدقه شك ونغض الطرف عن نزعات شريفة سامية ولا ننصف صاحبها من ظلم حاق به وأضاليل حامت حوله

﴿ المبحث الرابع ﴾

« في زهد ابي العلاء وشيء من أقواله فيه »

امتاز ابو العلاء عمن سلفه من الحكماء والشعراء بان كان زاهدا لا يلوي عن الزهد . وتقيا لا يمل من التقى . وورعا لا ينثني عن الورع . وانها لميزة من أجل ما يوفق اليه انسان في الحياة الدنيا فقد أجمع المؤرخون على زهده مع

اختلاف مقاصدهم فيه وتضارب آرائهم نحوه . وحسبهم اقناعا بزهده عزلته عن الناس خمسة وأربعين عاما تاركا الدنيا وملاذها الفانية وراء ظهره

فلا جرم اذا أعد لنفسه أفسح مجال في هذا المضمار وربت أقواله فيه على من سبقه من الحكماء والشعراء . وكاد يحبس شعره ويقصر أقواله على الزهد في الدنيا. والكره لها وذمها .وامتداح الموت والفناء . خلاصا من دناياها ونقائصها . وذلك على منوال ما سأذكر من أقواله الكثيرة في هذا الصدد . فمن تدبرها وأنعم النظر في مراميها لاطمأنت نفسه الى نصرة أبي العلاء ودفع ما رمى به من المين والبطلان ولكان هذا خير كفيل بالذود عنه ورد سهوم اعدائه الى صدورهم.

قال رحمه الله من قصيدة مطلعها «لقد آن ان يثني الجموح لجام»

وقد تنطق الأشياء وهي صوامت ... وما كل نطق المخبرين كلام

وما الدهر الا دولة ثم صولة ... وما العيش الا صحة وسقام

فاننا وان كان البقاء محببا ... باول من أخنى عليه حمام

وحب الفتى طول الحياة يذله ... وان كان فيه نخوة وعرام (١)

(١) العرام الشرة

وكل يريد العيش والعيش حتفه　　ويستعذب اللذات وهي سمام
فلما تجلى الامر قالوا تمنيا　　ألا ليت انا في التراب رمام

***

وقال من القصيدة التي مطلعها « غير مجد في ملتي واعتقادي »

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـــب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما اظن اديم (١) ال　　ارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ　　ـد هوان الآباء والاجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويدا　　لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا　　ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين　　في طويل الازمان والآباد (٢)
فاسأل الفرقدين عمن أحسا　　من قبيل (٣) وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار　　وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ　　ـجب الا من راغب في ازدياد
ان حزنا في ساعة الموت اضعا　　ف سرور في ساعة الميلاد

(١) اديم الارض وجهها (٢) جمع ابد وهو الدهر (٣) القبيل الجماعة

ومنها

طالما أحرج الحزين جوى الحز ن الى غير لائق بالسداد

مثل ما فاتت الصلاة سليما ن فانحى على رقاب الجياد(١)

وهو من سخرت له الانس والجن بما صح من شهادة صاد(٢) م

خاف غدر الايام فاستودع الريح سليلا(٣) تغذوه در العهاد(٤)

وتوخى له النجاة وقد أيقن ان الحمام بالمرصاد

فرمته به على جانب الكر سى ام اللهيم (٥) أخت النآد

***

زحل اشرف الكواكب دارا من لقاء الردى على ميعاد (٦)

---

(١) قيل ان سليمان عليه السلام لما عرض عليه الخيل اشتغل بها ففاتته الصلاة فحزن لذلك وغضب لله تعالى فقال « ردوها على » فطفق مسحا بالسوق والاعناق لانها كانت سبب فوت صلاته وهذا تعذيب غير جائز لانه من غير نفع ولا جناية (٢) هذا الماع الى قوله تعالى في سورة ص « فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب » . (٣) اشارة الى بعض قصة سليمان عليه السلام حيث ولد له ابن فلم يأمن عليه من تطرق الآفات فاستودعه الريح تحضنه وتحميه (٤) العهاد هى الامطار التى يتبع بعضها بعضاً (٥) ام اللهيم . واللهيم . والنآد . بمعنى الداهية (٦) وعدت الكواكب بالهلاك فى قوله تعالى « واذا الكواكب انتثرت » وقوله « واذا النجوم انكدرت » .

وانار المريخ من حدثان الدهر مطف وان علت في اتقاد (م)
والثريا رهينة بافتراق الـ ـشمل حتى تعد في الافراد

***

كل بيت للهدم ما تبني الور قاء (١) والسيد الرفيع العماد
والفتى ظاعن ويكفيه ظل الـ
ـسدر (٢) ضرب الاطناب والاوتاد (م)
بان أمر الاله واختلف النا س فداع الى ضلال وهاد
والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد (م)

وله

يا دهر يا منجز إيعاده (٣) ومخلف المأمول من وعده
اى جديد لك لم تبله وأى اقرانك لم ترده (٤)
تستأسر العقبان في جوها وتنزل الاعصم من فنده (٥)

---

(١) الورقاء هى الحمامة الصعيفة (٢) جمع سدرة وهى شجرة النبق (٣) الايعاد يستعمل فى الشر . والوعد فى الخير (٤) أرداه . اهلكه (٥) الاعصم الوعل لانه يعتصم بالجبال والفند القطعة من الجبل

ارى ذوى الفضل واضدادهم يجمعهم سبلك في مده
ان لم يكن رشد الفتى نافعا فغيه أنفع من رشده
تجربة الدنيا وافعالها حثت اخا الزهد على زهده

*
* *

ان زمانى برزاياه لى صيرنى أمرح في قده (١)
كأننا في كفه ماله ينفق ما يختار من نقده
لو عرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
امس الذى مر على قربه يعجز اهل الارض عن رده
اضحى الذى أجل في سنه مثل الذى عوجل في مهده
ولا يبالى الميت في قبره بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد في حتفه كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكي لآبائه كحالة الباكى على ولده
ما رغبة الحى بابنائه عما جنى الموت على جده
ومجده افعاله لا الذى من قبله كان ولا بعده
لولا سجاياه واخلاقه لكان كالمعدوم في وجده

(١) القد . سير يقد من جلد غير مدبوغ يوثق به الاسير

ومنها

تدعو بطول العمر أفواهنا | لمن تناهى القلب فى وده
يسر ان مد بقاء له | وكل ما يكره فى مده
افضل مافى النفس يغتالها | فنستعيذ بالله من جنده (١)
وآفة العاشق من طرفه | وآفة الصارم من حده
كم صائن عن قبلة خده | سلطت الارض على خده
وحامل ثقل الثرى جيده | وكان يشكو الضعف من عقده
ورب ظمآن الى مورد | والموت لو يعلم في ورده

*
* *

سلم الى الله فكل الذى | ساءك او سرك من عنده
لا يعدم الاسمر فى غابه | حتفا ولا الابيض فى غمده (٢)

---

(١) انما اراد بجند الله اعضاء النفس وقواها المركوزه فيها . اى افضل ما فى الانسان من الاعضاء الشريفة قد يكون سببا لهلاكه فلربما استحسن الانسان بعينه شيئاً يعلق به قلبه ويهيم به فيقاسى الشدائد فى بغيته ويلقى العطب دون مناله وكذلك يتكلم بما فيه هلاكه كما قيل «ان البلاء موكل بالمنطق» يفسر هذا . البيت الذى بعده (٢) الاسمر فى غابه هو الرمح فى منبته والابيض فى غمده هو السيف فى غلافه

وله من قصيدة

تأملنا الزمان فما وجدنا الى طيب الحياة به سبيلا
ذر الدنيا اذا لم تحظ منها وكن فيها كثيراً او قليلا

وله من قصيدة يرثي فيها بعضهم

ان الصروف كما علمتَ صوامتٌ عنا وكل عبارة فى صمتها
متفقه للدهر ان تستفته نفس امرئ عن جرمه لا يفتها
وتكون كالورق الذنوب على الفتى ومصابه ريح تهب لحتها (١)
جازاك ربك بالجنان فهذه دارٌ وان حسنت تغر بسحتها (٢)

وله من قصيدة يرثى أباه

على أمّ دفر (٣) غضبة الله انها لأجدر انثى ان تخون وان تخنى
كعاب (٤) دجاها فرعها (٥) ونهارها
محيا لها قامت له الشمس بالحسن

---

(١) الحت هو الحك والقشر. مثل الذنوب باوراق الشجر والمصيبة بالريح التى تحتّ الورق اى ان المصائب كفارات للذنوب (٢) السحت الحرام وهو من قولهم سحته الله وأسحته اذا محقه (٣) كناية عن الدنيا لان سجيتها سجية اناث في الخيانة وقلة الوفاء (٤) الكعاب الجارية التى كعبت ثديها (٥) شبه الدنيا بالكعاب وجعل الليل شعر رأسها والنهار وجهها المضيء وشمس النهار حسن وجهها

رآها سليل الطين (١) والشيب شامل لها بالثريا والسماكين والوزن

زمان تولت وأدحواء (٢) بنتها وكم وأدت فى أثرحواء من قرن

كأن بنيها يولدون ومالها

حليل (٣) فتخشى العار إن سمحت بابن

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذى يراد بنا والعلم لله ذى المن

***

وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة

من الدهر الا وهى أفتك من قرن (٤)

وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما

جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى

وله وهو أبلغ

ودنيانا التى عشقت وأشقت كذاك العشق معروفاً شقاء

سألناها البقاء على اذاها فقالت عنكم حظر (٥) البقاء

بعادٌ واقع فتى التدانى وبينٌ شاسعٌ فتى اللقاء

(١) سليل الطين . هو آدم جعل الدنيا كعادتها سجية الغدر والخيانة الا انها قديمة العهد اذ كان المشيب شاملا لها فى عهد آدم وجعل النجوم اللامعة فى السماء شيبا للدنيا (٢) الوأد دفن البنت حية (٣) الزوج (٤) الذى يقارنك فى القتال (٥) منع

ودرعك ان وقتك سهام قوم ... فما هى من ردى قوم وقاء
ولست كمن يقول بغير علم ... سواء منك فتك واتقاء
فقد وجبت عليك صلاة ظهر ... اذا وافاك بالماء السقاء
لقد أفنت عزائمك الدياجى(١) ... وأفراد الكواكب ارفقاء
فياسربى لتدركنا المنايا ... ونحن على السجية اصدقاء
أرى جرع الحياة أمر شىء ... فشاهد صدق ذلك اذ تقاء

***

ولو لم يكن من قوله فى الزهد الا البيتان الأخيران لكفى بهما دليلا على زهده وانقطاعه عن كل ما هو عرضى حيث يدل الاول على مقدار شوقه الى ورود حياض المنايا . والثانى يشير الى مرارة كأس الحياة فى ذوقه . مشبها اياها بان يتجرعها الانسان انفاسا ثم اذا مات كأنه يتقيأها وهنا تظهر مرارتها

وقال

يدل على فضل الممات وكونه ... اراحة جسم ان مسلكه صعب
ألم تر ان المجد تلقاك دونه ... شدائد من امثالها وجب الرعب
اذا افترقت اجزاؤنا حط ثقلنا ... ونحمل عبئا حين يلتئم الشعب

---

(١) الليالى

ولـه أيضا

رغبنا في الحياة لفرط جهل ... وفقد حياتنا حظٌّ رغيب
شكا خززٌ (١) حوادثها وليثٌ ... فأزحم الزئير ولا الضغيب (٢)
شهدتُ فلم أشاهد غير نكر ... وغيبني المنى فمتى أغيب

وقال أيضا

قد يسروا الدفين حان مصرعه ... بيتا من الخشب لم يرفع ولا رحبا
ياهؤلاء اتركوه والثرى فله ... أُنس به وهو أولى صاحب صحبا
وانما الجسم ترب خير حالته ... سقيا الغمائم فاستسقوا له السحبا
صار البهيج من الأقوام خط سفىً (٣)
وقد يراع اذا ما وجهه شحبا (٤)

وله أيضا

اين الثرى للجسوم خير ... من صحبة العالم الجفاةِ
قد خفت (٥) القوم فاستراحوا ... آه من الصمت والخفاة
لم يبق للظاعنين عين ... تبكي على الاعظم الرفات

---

(١) ذكر الارانب (٢) صوت الذكر من الأرانب (٣) السفى اسم ما تسفيه الريح من التراب (٤) تغير (٥) خفت الرجل خفاتا اذا مات فجأة

أرى انكفاني (١) الى المنايا　　أغنى عن الأسرة الكفاة (٢)
أثبتُ لي خالقا حكيما　　ولست من معشر نفاة

وقال

لا يرهب الموت من كان امرأ فطناً　　فان في العيش ارزاء وأحداثا (٣)
وليس يأمن قوم شر دهرهمُ　　حتى يحلوا ببطن الأرض أجداثا
أغنى الانام تقى في ذرى جبل
يرضى القليل ويأبى الوشي (٤) والتاجا
وأفقر الناس في دنياهمُ ملك　　يضحى الى الجب (٥) الجرار محتاجا
وقد علمتُ المنايا غير تاركة　　ليثا بخفان (٦) او ظبيا بفرتاجا (٧)

وله

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة　　مخشية لاعتراها القوم أفواجا
وكان من ألقت الدنيا عليه اذى　　يؤمها تاركا للعيش أمواجا
كأس المنية أولى بي وأروح لي　　من ان اكابد اثراء واحواجا
في كل ارض صروف غير هازلة　　يلممن بالناس افرادا وأزواجا

---

(١) انكفت الشيء انضم وكفته ضمه (٢) من كفاه شر عدوه وغيره
(٣) احداث الدهر نوائبه (٤) نوع من الثياب (٥) الجيش ذو الجلبة
والكثرة (٦) ارض كثيرة الأسود (٧) موضع تنسب اليه الغزلان

وقال أيضا

كفى حزناً ان الفتى بمسومه(١) تقول له الايام في جدث لج (٢)
وكم وطئت أقدامنا في ترابها جبين أخي كبر وهامة أبلج(٣)

غيره

ما أعدل الموت من آت وأستره فجيئني فاني غير مهتاج
العيش أفقر منا كل ذات غنى والموت أغنى بحق كل محتاج
اذا حياة علينا للأذى فتحت بابا من الشر لاقاه بارتاج(٤)

غيره

اذا ما مضى نفس فاحسبنه كالخيط من ثوب عمر نهج(٥)
وان هاجك الدهر فاصبر له وعش ذا وقار كأن لم تهج
فكم جمرة خمدت فانقضت وكان لها منذ حين وهج
فيا قائد الجيش خفض عليك في غير حظك يعلو الرهج(٦)
زمان حباك قليل العطاء ما زال يكثر أخذ المهج
فلا تود أنفسنا حسبنا قضاء له بأذانا لهج (٧)

---

(١) من سوم الرجل اذا تركه وما يريد (٢) فعل امر من ولج اي ادخل (٣) هو المشرق المضيء (٤) مصدر ارتج الباب اذا أغلقه (٥) نهج الثوب خلق وبلى (٦) الغبار (٧) اللهج بالشيء الولوع به

اعن باكياً لجَّ في حزنه وسل ضاحك القوم ثم ابتهج
وعالمنا المنتهى كالصبي قيل له في ابتداء تهج

ولهُ

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة ونحن حواليها الكلاب النوابح
فمن ظل منها آكلا فهو خاسر ومن عاد عنها ساغبا(١) فهو رابح
ومن لم تبيته (٢) الخطوب فانه سيصحبه من حادث الدهر صابح

ولهُ

تجمّع أهله زمراً اليه وصاحت عرسه(٣) أودى فصاحوا
تخاطبنا بافواه المنايا من الايام ألسنة فصاح
نصحتكمُ أهينوا أم دفر فما يبقى لكم منها نصاح (٤)

وقال ايضا

يكون أخو الدنيا ذليلا موطأً وان قيل في الدهر الأمير المؤيدُ
ولا بد من خطب يصيب فؤاده بسهم فيضحى الصائد المتصيد
بقيتُ وان كان البقاء محببا الى ان وددت العيش لا يتزيد

(١) اي جائعا من سغب (٢) بيت العدو أوقع بهم ليلا وبيت امرا دبره ليلا (٣) العرس امرأة الرجل. واودى . هلك (٤) النصاح بكسر النون (الخيط الذي يخاط به)

وسرت وقيدي بالحوادث محكم   كما سار بيت الشعر وهو مقيد (١)

وما العمر الا كالبناء فان يزد   على حده يهوى الرفيع المشيدُ

وله

عرفتُ سجايا الدهر أما شروره   فنقد وأما خيره فوعودُ

اذا كانت الدنيا كذلك نخلها   ولو أن كل الطالعات سعود

رقدنا ولم تملك رقادا عن الأذى   وقامت بما خفنا ونحن قعود

فلا يرهبنّ الموت من ظل راكبا   فان انحدارا في التراب صعود

وكم أذرتنا بالسيول صواعق   وكم خبرتنا بالغمام وعود

وله

ألا انما الدنيا نحوس لأهلها   فما في زمان أنت فيه سعودُ

يوصي الفتى عند الحمام كأنه   يمر فيقضي حاجة ويعود

وما يئستْ من رجعة نفس ظاعن   مضت ولها عند القضاء وعود

تسير بنا الايام وهي حثيثة   ونحن قيامٌ فوقها وقعود

فما خشيتْ في السير زلة عاثر   ولكن تساوى مهبط وصعود

وله

أودع يومي عالما أن مثله   اذا مر عن مثلي فليس يعود

---

(١) المقيد من الشعر الساكن الروي

وما غفلات العيش الا مناحس وان ظن قوم انهن سعود
كأني على العود(١) الركوب مهجر اذا نص حرباء الظهيرة عود
سرى الموت في الظلماء والنوم في الكرى وقام على ساق ونحن قعود
وتلك لعمر الله اصعب خطة كأن حدوري في التراب صعود
وان حياتي للمنايا سحابة وان كلامي للحمام رعود
ينجز هذا الدهر ما كان موعدا وتمطل منه بالرجاء وعود

وقال

أسر ان كنت محمودا على خلق ولا أسر باني الملك محمود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها وانما هو بعد الموت جلمود

وقال ايضا

سلوا معشر الموتى الذي جاء وافدا اليكم يخبر فهو اقربكم عهدا
يحدثكم ان البلاد مقيمة
على ما عهدتم ذلك الهضب والوهدا (٢)
وان تفتأ الدنيا تغر خليلها وتبدله من غمض اجفانها سهدا
تريه الدجى في هيئة النور خدعة وتطعمه صابا (٣) فيحسبه شهدا

(١) العود بفتح العين وتسكين الواو الجمل المسن والركوب بفتح الراء الذي يركب (٢) الوهد الارض المنخفضة (٣) الصاب عصارة شجر مر

وقد حملته فوق نعش وطالما
سرى فوق عنس (١) أو علا فرسا نهدا (٢)
ولم تترك من حيلة لنفره ولم يبق في اخلاصه حبها جهدا

وقوله

نادى حشا الأم بالطفل الذي اشتملت
عليه ويحك لا تظهر ومت كمدا
فان خرجت الى الدنيا لقيت أذى
من الحوادث بله (٣) القيظ والجمدا (٤)
وما تخلص يوما من مكارهها وانت لا بد فيها بالغ أمدا
ورب مثلك وافاها على صغر حتى أسن فلم يحمد ولا حمدا
لا تأمن الكف من أيامها شللا ولا النواظر كفا (٥) عن أو رمدا
فان أبيت قبول النصح معتديا فاصنع جميلا وراع الواحد الصمدا
فسوف تلقى بها الآمال واسعة اذا اجزت مدى منها رأيت مدا
وتركب اللج تبغي ان تفيد غنى وتقطع الارض لا تلقى بها ثمدا (٦)

---

(١) العنس بتسكين النون الناقة الصلبة القوية (٢) الفرس الجليل الجسيم المرتفع (٣) اسم فعل مسماه دع (٤) الجمد الثلج (٥) كف البصر عماه (٦) الثمد الماء القليل لا مادة له

وان سعدت فما نفك فى تعب　　وان شقيت فمن للجسم لو همدا

ثم المنايا فاما ان يقال مضى　　ذميم فعل واما كوكب خمدا

والمرء نصل حسام والحياة له　　سل واصون للهندى ان غمدا

فلو تكلم ذاك الطفل قال له　　اليك عنى فما أنشئت معتمدا

فكيف أحمل عتبا أن جرى قدر　　على أدرك ذاجد ومن سمدا(١)

وقوله

مللت عيشى فعوجى يامنية بى　　وذقت فنيه من بؤس ومن رغد

غدى سيوجد أمسى لا ينازعنى

فى ذاك خلق وأمسى لا يصير غدى

وقوله

تلقب ملك قاهرا من سفاهة　　ولله مولاه المالك والقهر

أتغضب ان تدعى لئيما مذمما　　وحسبك لؤما ان والدك الدهر

تزوج دنياه الغبى بجهله　　فقد نشزت(٢) من بعدما قبض المهر

تطهر ببعد من اذاها وكيدها　　فتلك بغى لا يصح لها طهر

وله

وكانما دنياك رؤيا نائم　　بالعكس فى عقبى الزمان تعبر

(١) سمد (لعب ولها) (٢) نشزت المرأة استعصت على بعلها وأبغضته

فاذا بكيت بها فتلك مسرة ... واذ ضحكت فذلك عين تعبر

سر الفتى من جهله بزمانه ... وهو الأسير ليوم قتل يصبر (١)

لعبت به أيامه فكأنه ... حرف يلين فى الكلام وينبر (٢)

عجز الاطبة عن جروح نوائب ... ليست بغير قضاء ربك تسبر (٣)

والمين أغلب فى المعاشر كلهم ... للدفر (٤) وهو اذا يسمى العنبر

وقال أيضاً

لقد أصبحت دنياك من فرط حبها ... ترينا كثيرا من نوائبها نزرا

ولو ظهرت أحداثها لسمعتها ... تغيظا وعاينت أعينها خزرا (٥)

تواصلنا رميا وتوسعنا أذى ... وتقتلنا ختلا وتلحظنا شزرا

ولا ريب عند اللب فى ان خيرها

بكئ (٦) وان أمست مصائبها غزرا

وقال ايضاً

هو البر فى بحر وان سكن البرا ... اذا هو جاء الخير لم يعدم الشرا

---

(١) يصبر الانسان وغيره على القتل حبسه ورماه حتى يموت (٢) اى يهمز (٣) سبر الجرح وغيره امتحن غوره ليتعرف مقداره (٤) اى النتن (٥) الخزر ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخر عينه

وهل تظفر لدنيا على غبنة ومنساها فيها النفس اضعاف ما سرّا
يلاقي حليف العيش ما هو كاره ولو لم يكن الا الهواجر والقرّا
نوائب منها عمت الكهل والفتى وطفل الورى والشيخ والعبد والحرّا
اذا وصلت بالجسم روح فانها وجثمانها تصلى الشدائد والضرّا

وقال ايضا

أما الحياة فقتر لا غنى معه والموت يغني فسبحان الذي قدرا
لو انصف العيش ما تذمم صحبته وما غدرنا ولكن عيشنا غدرا

وقال ايضا

تباركت ان الموت فرض على الفتى ولو انه بعض النجوم التي تسري
ورب امرئ كالنسر في العز والعلا
هوى بسنان مثل قادمة النسر (١)
وهوّن ما نلقى من البؤس اننا بنو سفر او عابرون على جسر
وما يترك الانسان دنياه راضيا بعز ولكن مستضاما على قسر (٢)

وقال ايضا

تخوفنا من ام دفر خديعة ومكرا فلم تذر الدموع ولم نذر

(١) السنان زج الرمح او هو نصله والمراد بقادمة النسر ريشته المشبه بها السنان (٢) القهر

عدمناك دنيانا على السخط والرضا　　فقد شفنا(١) زرع تكون من بذر
وانا لمذريون فيك من الهوى　　ولسنا بمذريين فيك من العذر

وقال ايضا

ومن هوى الدنيا الكذوب فانه　　رهين بثوبي ذلة وصغار
اذا هى جادت خسرت واذا أبت
فكم حسرت(٢) من جلة (٣) وصغار

وقال ايضا

غدت دار الشرور ونحن فيها　　فمن يهدى الى دار السرور
لقد بدّلت حالا بعد حال　　فصرت الى الغرور من الغرور
فصبرا ان أمرّ عليك عيش　　فانك في المقام على المرور

وله

تخيمُ يا ابن آدم في ارتحال　　وترقد في ذراك وانت سارى
ويأمل ساكن الدنيا رباحا　　وليس الحى الا فى خسار

وقال أيضا

الى مَ أجر قيود الحياة　　ولا بد من فك هذا الأسار
ودنياى ان وهبتْ باليمين　　يسارَ الفتى أخذت باليسار

---

(١) شفه الهم بمعنى هزله (٢) حقرت (٣) جمع جليل

فلا تغبطنْ بعض خدامها ... فكلهم دائب في خسار

قدمنا اليها على رغمنا ... ونخرج من ضنكها باقتسار

فلا تأمننْ انَّ وفدَ الحمام ... غادٍ على مهج القوم سارى

فتى يتنادى حنانى الزمانُ ... وما بعد ذلك الا انكسارى

فطورا تجيش غمارُ المياهِ ... وطورا تصادف ذات انحسار

وقال ايضاً

لحاكِ الله يا دنيا خلوبا (١) ... فأنت الغادة البكر العجوز

وجدناكِ الطريق الى المنايا ... وقد طال المدى فمتى نجوز

سئمنا من اذاكِ فنجزينا ... فان مروءة الوعد النجوز

وقال ايضاً

لكون خلك في رمس أعزّ له ... من ان يكون مليكا عاقد التاج

الملك يحتاج ألافا لتنصره ... والموت ليس الى خلق بمحتاج

*
* *

اذا كنت قد اطلت في سرد أقوال ابى العلاء في الزهد فذلك لغزارة ماجاء فيها من الحكم البالغة والموعظة الحسنة . ولأنها تدفع بالنفس الى خوف مقام ربها وتنهاها عن ملازمة هواها .

---

(١) من خلبت المرأة قلب الرجل (اذهبته)

فهي اذا جديرة بان يتمثل الانسان بها في كل آونة من حياته . حتى تبتعد النفس عن التعلق بملاذها . وتنأى عن كل ما هو عرضي زائل يجرها الى الدمار والخسران . وتقترب الى ما فيه حياتها الأبدية وسعادتها السرمدية

﴿ المبحث الخامس ﴾

« في ايمانه بالرسل واعترافه بالكتب المنزلة »

اذكر من أقواله في الرسل بعضاً من نظمه في قصيدتين مدحاً في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كاف لان يزيل عنه أثر الريب والشك ويقطع ما تقول به اعداؤه من جحد الرسل والكفران بهم . قال رحمه الله

يا ابن الذي بلسانه وبيانه هدى الانام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدومه التوراة والانجيل(١)

وليس ابو العلاء في هذين البيتين مؤمنا بالرسل فقط بل ومعترفا بالكتب المنزلة التي أنكر عليه الاعتراف بها فيما اختلق عليه من

(١) يدل على بشارة التوراة به قوله تعالى حكاية عن اليهود « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ودل على بشارة الانجيل قوله

الأقوال . وكذلك يؤيد هذا الاعتراف البيتان الآتيان

كتاب محمد وكتاب موسى   ونجيل ابن مريم والزبورُ
نهت أمما فما قبلت وبارت (١)   نصيحتها فكل القوم بور (٢)

وقال ايضاً

وجمال الأوان عقب جدود   كل جد منهم جمال أوانِ
يا ابن مستعرض الصفوف ببدر   ومبيد الجموع من غطفان (٣)
أحد الخمسة الذين همُ الاغـ   ـراض في كل منطق والمعانى
والشخوص التى خلقن ضياء   قبل خلق المريخ والميزان (٤)
قبل ان تخلق السموات اوتؤ   مر أفلاكهن بالدوران (٥)
لو تأتى (٦) لنطحها حمل (٧) الشهـ   ـب تردّى عندرأسه الشرطان (٨)

---

(١) بار المتاع كسد وبار عمله بطل (٢) البور الرجل الفاسد الهالك لا خير فيه . يستوي فيه المثنى والجمع والمؤنث . قال تعالى « وكانوا قوماً بورا » (٣) اسم قبيلة (٤) هذا البيت اشارة الى سبق الارواح في الوجود قبل الاجساد كما جاء في الحديث « خلق الله الارواح قبل الاجساد » (٥) اشارة الى ايجاد النفوس فى عالم الذر عند خطاب « ألست بربكم » (٦) تعرض (٧) اي برج الحمل (٨) الشرطان هما الكوكبان المضيئان يقال لها قرنا الحمل

او أراد السماك (١) طعنا لهاعا دكسير القناة قبل الطعان

***

وهذه أقوال لا تشير فقط الى اعترافه بالرسل والكتب المنزلة بل تثبت صراحة صدق عقيدته وقوة ايمانه . تولاه الله بالمثوبة وأجزل عليه الرحمة والغفران

﴿ المبحث السادس ﴾

« في ايمانه بالبعث والنشور »

اذا تأملنا في حجج بعض القائلين بانكار ابى العلاء للبعث والنشور نجد ان اوجه دليل اتخذوه برهانا لهم على هذا ينحصر في بيتين نسبا الى ابي العلاء وهما

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطمنا ريب الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

فاذا لم نكلف انفسنا البحث في صحة نسبتهما اليه من عدمه ولم نجزم ببعدهما عن ابي العلاء كسابقهما من الاقوال ونظرنا اليهما نظرة مستطلع مغزاهما . لوجدنا ان الشطر الأخير من البيت

---

(١) السماك نجم.وهو على نوعين سماك رامح (اي الذي له رمح) وسماك اعزل

الثاني الذي اعتبر فيه الزيغ والبعد عن الايمان بالبعث والنشور لا يمكن ان يستدل منه بأي حال من الاحوال ان ابا العلاء يقصد الدار الآخرة كما زعموا . بل الذي يتبادر الى الذهن ان القصد من عدم اعادة السبك هو استحالة رجوعنا الى هذه الدار الفانية مشبها فناء الانسان من الدنيا بزجاج لا يجبر ولا يعاد له سبك وفي ذلك يقول ابو العلاء

نفس تحس بامر أخرى هذه جسر اليها بالمخاوف يعبرُ
من للدفين بان يفرج لحده عنه فينهض وهو أشعث أغبر
والدهر يقدم والمعاشر تنقضي والعجز تصديق بمين يخبر
زعم الفلاسفة الذين تنطسوا(١) ان المنية كسرها لا يجبر
قالوا وآدم مثل أوبر والورى كنباته جهل امرؤ ما اوبر
كل الذي تحكون عن مولاكمُ كذب أتاكم عن يهود يحبر(٢)
رامت به الأحبار نيل معيشة في الدهر والعمل القبيح يتبر(٣)

وهذا رد مفحم على من اعتبروا ابا العلاء دهريا لا يقترف ببعث او نشور ويدحض حججهم التي عولوا عليها في اثبات

(١) تنطس الرجل تأنق في جميع الامور (٢) اي يحسن من التحبير وهو التحسين (٣) يقال بتره اذا كسره وأهلكه

زعمهم الموهوم. فان اقوال الانسان وآراءه هي التي تبين عن حقيقة اعتقاده. وتنبئ عن مذاهبه ومباديه. وتشف عن ميوله ومراميه. وعلى هذا الاعتبار كان اعتمادي في البحث في عقيدة ابي العلاء فانه أقرب طريق الى التماس الحقيقة من مصدر صدق لا تخاتل فيه.

اذ من الظلم ان يؤاخذ انسان على كلمات واهية اختلقت عليه وشك في صدقها ويضرب بحجته في نفيها عرض الافق. او لا يلتفت اليها مع انها حقيقة ثابتة لا يتسرب اليها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فقد أفعمت أقوال ابي العلاء بالاعتراف بالبعث والنشور وتعددت مع الصراحة التامة والافصاح الذي يقطع سبيل التأويلات والاراجيف ولا يذر في الضمائر اي شك في صدق عقيدته وصفاء نيته وها كم البيان

قال من قصيدة

خلق الناس للبقاء فضلت امـة يحسبونهم للنفاد

انمـا ينقلون من دار اعمـا ل الى دار شقوة او رشاد (١)

---

(١) اي بالموت تبدل الدار فتنتقل من دار الاعمال الى دار السعادة وهي الجنة او الى دار الشقاوة وهي النار

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ   جسم فيها والعيش مثل السهاد (١)

ومنها

قد أقر الطبيب عنك بعجز   وتقضى تردد العواد

وانتهى اليأس منك واستشعر الوجد   بأن لا معاد حتى المعاد

وله من قصيدة

فيا وطني إن فاتني بك سابق   من الدهر فلينعم لساكنك البالُ

فإن أستطع في الحشر آتك زائراً   وهيهات لي يوم القيامة أشغال (٢)

وله من قصيدة يرثي أباه

سألت متى اللقاء فقيل حتى   يقوم الهامدون من الرجام (٣)

فليت أذين (٤) يوم الحشر نادى   فأجهشت (٥) الرمام إلى الرمام

وله

ولقد نصحتني في المقام بأرضكم   رجال ولكن رب نصح مضيع

فلا كان سيري عنكم رأي ملحد   يقول بيأس من معاد ومرجع

(١) شبه الموت بالنوم والعيش بعد البعث بالانتباه من النوم
(٢) يستبعد زيارة وطنه حتى يوم الحشر لكثرة الاشغال به عملا بقوله تعالى « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (٣) الرجام هي حجارة ضخام ربما وضعت على القبر يسنم (٤) المؤذن (٥) يفزع الانسان الى غيره

ولہ ایضا

ضل الذي قال البلاد قديمة بالطبع كانت والأنام كنبتها

وأمامنا يوم تقوم هجوده من بعد ابلاء العظام ورفتها

وهذان البيتان رد على الدهريين الذين يقولون ان العالم قديم بالطبع والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيما . بل هناك يوم تقوم فيه الموتى بعد ان بليت عظامهم وصارت رفاتا . وكذلك البيتان اللذان قبلهما يدلان على مقدار مقته لاعتقاد الملحدين الدهريين الذين ينكرون البعث والنشور وانه لا معاد للخلق بعد الموت . حيث ابى ان يكون سيره عن اهله ذهابا بغير اياب اليهم كما هو رأى الملحدين

وله من قصيدة يرثي اباه

ابى حكمت فيه الليالي ولم تزل رماح المنايا قادرات على الطعن

مضى طاهر الجثمان والنفس والكرى

وسهد المنى والجيب والذيل والردن

فياليت شعري هل يخف وقاره اذا صار أحد في القيامة كالعهن (١)

(١) هذا اعتراف بقيام الساعة اشارة الى قوله تعالى « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » اي الصوف المندوف

وهل يرد الحوض الروي مبادراً

مع الناس ام يأبى الزحام فيستأنى

وقال ايضاً رائياً

ولا تنسني في الحشر والحوض حوله

عصائب شتى بين غر الى بهم (١)

لعلك في يوم القيامة ذاكرى فتسأل ربي ان يخفف من اثمى

وقال ايضا

لا ملك للملك المقصور (٢) نعلمه وكل ملك على الرحمن مقصورُ

مضت قرون وتمضي بعدنا أمم والسر خاف ان ينفخ الصور

وقال ايضا

يكر موتانا الى الحشر ان قال لهم بارئهم كروا (٣)

يخاف منا آخر اولا كاننا السنبل والبر

وقال أيضاً

(١) هذا مبني على قوله صلى الله عليه وسلم «يحشر أمتي يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء» (٢) الملك المقصور هو عمر ابن حجر الاكبر وسمي المقصور لانه اقتصر به على ملك ابيه (٣) اى ارجعوا

بحكمة خالقي طي ونشرى وليس بمعجز الخلاق حشري

وقال ايضا

عودى (١) يخاف من الاحراق صاحبه

ان قال ربي لاجسام البلى عودي (٢)

حاشا لربك من اخلاف موعده وانما الخلف في قولي وموعودى

وقال ايضا

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت اليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما (٣)

***

فهل يجوز بعد هذه الاقوال الصريحة المملوءة اعترافا بالبعث والنشور والمفعمة ورعا وتقى . ان يتقول متجاهل بالحاده وبعده عن الايمان وانكاره لما جاء به الدين الحنيف :

« كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا »

---

(١) اي جسمي (٢) اي ارجمي (٣) روى هذا المعنى عن علي ابن ابي طالب . اذ قال لرجل يشك فيما جاءت به الرسل . « ان كان الامر كما تقول من انه لا قيامة فقد تخلصنا جميعاً . وان كان الامر كما نقول فقد تخلصنا وهلكت انت » فترك ذلك الرجل اعتقاده

« تتمة البحث »

ان مجلس ابي العلاء كان يؤمه كثير من طلاب العلم وافدين عليه من كل حدب رغبة في الاخذ عنه والتلمذة عليه . واذا نظرنا الى طريقة تلقي العلوم في تلك العصور نجد ان الطلاب كانوا ملازمين لاساتذتهم في الغدوات والروحات . كثيري المعاشرة لهم . شديدي الالفة والاقتداء بهم . وهذه حال لا مشاحة يتحقق معها الغرض من التلمذة باسمى غاياتها اذ يخرج الطالب متطبعاً باخلاق استاذه وآدابه . ناهجاً نهجه في مذاهبه وآرائه . وهذه النتيجة هي خير ما يرجى من التلمذة على استاذ حكيم يتولى تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق ونماء العقول والمدارك . وانفس ما يستفيده الانسان من مجالسة رجال العلم ومخالطة أهل الادب

على انه اذا كان ثمت داع الى تعميم رأى او مذهب فلا طريق أنجع في تحقيق هذا المأرب من نشره بين نشء ضموا الى حداثة العمر قرب العهد بالعلوم فيلقنون من المزاعم والمبادئ ما شاء لذويها ان يطبعوهم عليها ويصبغوهم بصبغتها حتى تتمكن من افئدتهم وتثبت في اذهانهم فلا يحيدون عنها

ذلك لانها تصادف احلاما خاليـة من تشعبات الآراء واختلاف المذاهب. ونفوسا مفضية بثقتها الى من تولوا تنمية البابها وتربيتها على ما توحى اليهم ذممهم ويطمئن اليه بالهم. متقبلة ما يقرره الاستاذ من المسائل بمحض الثقة به والاعتماد عليه بغير ما تفنيد ولا محاجة . وكذلك كان الطريق الى التأثير في الافهام والعقول في كل عصر وفي كل أمة

ولا عجب فالتلميذ بين يدى استاذه كاللوح امام المصور الماهر ينقش عليه ببراعته ما يشاء من الصور ويطليه مع سلامة ذوقه بالالوان التي تكسبه بهي المناظر. وقد يتجلى هذا التمثيل تماماً اذا كان شأن التلميذ مع معلمه المخالطة الكثيرة والمرافقة الدائمة. فان ذلك أدعى الى التأثير لما للاستاذ من قوة في البيان ومقدرة في الاقناع بالحجة الدامغة والبرهان الصحيح

ومع هـذا فقد قدر للانسان ان يكون بطبيعته البشرية مفطورا على حب الاثرة برأيه وترجيحه على كل ما خالفه من الأفكار والمذاهب شغوفا بنشر مبادئه وظهورها بين النـاس حتى يضم اليه فئة من الناس يشجعونه ويثبتون قدميه ويعاونونه

على تحقيق ما يبغي من نشر تلك الافكار والمذاهب

ولقد يدرك هذا المطلب اصحاب المذاهب المحدثة والافكار الجديدة ويجدون كثيرا من الناس مصدقين لما معهم من البينات مؤيدين لما جاؤا به من المسائل . بل ومتفانين في نصرتهم وتعضيدهم ومتطوعين في الدفاع عنهم باموالهم وارواحهم . وقد يكون ذلك الأثر العظيم من مجرد اعلان آرائهم ومذاهبهم ونشرها بينهم بغير سابق معاشرة لمخرجيها الى حيز الوجود او خلطة بهم

فاذا تبين ذلك أصبح من المحتم المعقول ان الطلاب الذين تلقوا العلوم على ابي العلاء او من صاحبوه كانوا على مبادئه وآرائه . ووقر في النفوس تمسكهم بمذهبه واعتقاده فانهم اولى الناس بالتأثير واقربهم الى الاخذ بهذه المذاهب بحكم ما بينهم من صلات التلمذة او المصاحبة

غير انا اذا علمنا ان ابا زكريا التبريزي (١) وابا الحسن بن همام (٢) وغيرهما كانوا من تلاميذه وان ابا القاسم التنوخي (٣)

(١ و ٢ و ٣) مر ذكر تراجمهم

والقاضي ابا الفتح (١) وابا الطيب الطبري (٢) وغيرهم كانوا من اصحابه واصدقائه ولم نسمع عن اي منهم غير ما نعرفهم عليه من الصلاح والتقوى فلا يتسرب اذن الى الافكار شك في ان ابا العلاء كان حقيقة « شيخا مكذوبا عليه » وانه كما قال الشيخ كمال الدين الزملكاني (٣) « جوهرة جاءت الى الوجود وذهبت ولم يعرفها الا القليل »

أجل . انه لجوهرة غفل عن ادراكها الكثير اذ لم يكن غرضه من قول الشعر وصوغ القصائد تميق الفاظ وتحبيرها. او انتقاء اساليب واحكام سبكها. او اظهار مقدرته في تماثل الاغراض وتناسق الفقر حتى يتملك اعنة القلوب بشائق الفاظه ويسحر الالباب ببديع بيانه . بل كان في شعره مقررا مبادئ قصد بها رد شارد الأهواء وتقويم زيغ النفوس وداعيا الى

(١) ذكرت ترجمته (٢) هو ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن عمر الطبري القاضي كان ثقة ورعا محققا في علمه حسن الخلق صحيح المذهب وكان صديقا لابي العلاء المعري يكاتبه ويتبادلان الشعر (٣) هو محمد بن علي كمال الدين بن الزملكاني الانصاري الدمشقي كان فصيحا متشرعا قوي العربية قد أتقنها ذكاء صائب الفكرة يضرب بذكائه المثل . صحيح العقيدة . متمكنا في الشعر

التمسك بالفضيلة والتدرع بالحكمة بطرق سهلة المنال لطيفة المأخذ مصوغة في قالب من الشعر .

ولما كان له ان يذهب مذهب غيره من الشعراء ويسلك طريقهم في جعل الشعر سلما الى الاستجداء وسبيلا الى الاسترفاد. فطالما استحوزت عليه الضائقات فلم يدر في خلده ان يقصد يوما وزيرا خطيرا او اميرا عظيما او ملكا قادرا يرفع اليه بحاجته مستمطرا عطاياه مستقطرا غيث جوده. بل كافح ما أحدق به من الهموم بالصبر والجلد معتمدا على نفسه في تفريج ما احتاط بها من الشدائد ونزل بها من الملمات حيث قال

والموت أحسن بالنفس التي ألفت　　　عز القناعة من ان تسأل القوتا

وكذلك النفوس العالية تأبى عليها كرامتها احتمال مذلة السؤال وهوان الاستمناح. فكان في ذاته فيلسوفا مصلحا قصد بارشاداته وتعاليمه محض الخير والهدى لبني الانسان اجمعين لا فرق في ذلك بين صغير او كبير امير او حقير شأن من صدق النصح للناس وتوخى لهم مناهج الرشد والاصلاح

وضع نفسه هذا الموضع فارتاد لها الاستقلال الفكري التام والحرية الشخصية الكاملة حتى لا يتسلط عليه جهول

عات يبطش بهما فلا يستطيع ابداء النصح الخالص والحق البين. ويفقده فائدتهما الطبيعية ونتائجهما الحسنة بماله من قوة او بأس او بما أسدى اليه من الصنائع وأدر عليه من الهبات. ورأى السبيل الى بلوغ هذا المقصد نبذ جانب الملوك والامراء فتنحى عنهم مؤثرا الانفراد بنفسه والعزلة عن ان يكون من جلسائهم ورجال بلاطهم بعيدا عما يجرى في ساحتهم من الامور التي لا يرتاح اليها خاطر شريف ترفع عن النقائص حيث قال

أما لأمير هـذا المصر عقل ... يقيم عن الطريق ذوي النجوم
فكم قطعوا السبيل على ضعيف ... ولم يعفوا النساء من الهجوم
هم ناس ولو رُجموا استحقوا ... بأنهمُ شياطين الرجوم
اذا افتكر اللبيب رأى امورا ... ترد الضاحكات الى الوجوم(١)

وقال ايضا

ومن يحمل حقوق الناس يوجد ... لدى الاغراض كالفرس المعنّ(٢)
أتعجب من ملوك الارض أمسوا ... للذات النفوس عبيد قن (٣)
فان دانيتهم لم تعدُ ظلما ... ومنا في الامور بغير من

---

(١) الحزن والغم (٢) اي الذي جعل له عنان (٣) القن بكسر القاف العبد اذا ملك هو وابواه يستوي فيه الاثنان والجمع والمؤنث

عرف ابو العلاء هذه الحقيقة وأدرك كنهها فابتعد عنهم بقدر اقترابها من مخيلته واختمارها في ضميره واجتنب ناديتهم سائرا في طريقه التي خطها لنفسه بزجر من غلا في جهالته وعمه في طغيانه وردع من لج في غوايته وخاض في غروره كائنا من كان . معتبرا في ذلك مبدأه القائل

فازجر النفس اذا ما أسرفت   فمتى لم يقصص الظفر كلم (١)

وان احق الناس بالزجر ملك او امير نزعت نفسه الى اتباع هواها وركوب متن عتيها وسلوك خطط النكر والفحش على النهج الذي وصفه ابو العلاء . فان القابضين على ازمة الامور المتحكمين في رقاب العباد اذا سلكوا طرق التعسف وضلوا سبيل الحكمة والعدل واتبعوا في حكم الناس ارادتهم المطلقة وهواهم الذي لا يقف عند حد كانت مغبة ذلك شرا ونكالا عليهم وعلى الذين تعسوا بالوقوع في مخالبهم والائتمار باوامرهم

وان شرارة وقعت بواد   لتحرق وحدها سمرا بشرج (٢)

---

(١) اي جرح (٢) السمر بفتح السين وضم الميم نوع من الشجر وشرج اسم واد يوجد فيه ذلك الشجر

لذلك حقت عليهم مراقبة الامة جميعها حتى لا تقاد الى المهالك وتساق الى المخاطر كالانعام بغير مناهضة او تخلف عن طريق اقل ما تلاقى فيه العطب والفناء . ومن هنا تطرق ابو العلاء الى أحقية تولى الناس تدبير مصالحهم بانفسهم وادارة شؤونهم بذاتهم حيث قال

أن اكانتم فضلا وانفقتم فضلا فلا يدخلن وال عليكم
لا تولوا أموركم ايدى الناس اذا ردت الامور اليكم

فوارحمتا عليه اذ قرر فى القرن الحادي عشر مبدأ حقا تشرئب أعناقنا اليه في القرن العشرين وتتهافت نفوسنا على نيله بل ونتقاتل على الوصول اليه . ذلك هو حكم الامة نفسها بنفسها متى أحست بضرورة توليها زمام امورها وشعرت بوجوب اداتها بذاتها حتى لاتدع امورها لمن لا يحسن تسييرها فيعبث بها حسبما تتوجه اليه غاياته وتقوده مطامعه . فان الانسان دون سواه هو الخبير بادوائه وطرق برئه منها العليم بمواضع الضعف من احواله . الغيور على مصالحه وشؤونه . فاذا ما تسلم ازمتها توخي النفع لبني جلدته وذويه قبل ان يفكر في ايصاله لنفسه فتكون صلة الحاكم بالناس صلة مودة وقربى اساسها

التضامن والجرى على ما فيه الخير العام . لا صلة حاكم اجنبي جبار مطلق التصرف بمحكوم ضعيف . محورها الجور والغلظة ورائدها الظلم والمعاملة الغشومة لا يهمه سعد هذا المحكوم التعس ام شقي

وبديهي أن المجاهرة بهذه الافكار في تلك الازمان مجازفة تحف النفس بالمخاطر والمخاوف وتعرضها لان ينال منها بكل الوسائل حتى ليثلم الانسان في سمعته وشرفه . ويتهم في عقيدته ودينه بما يختلقه خصومه عليه من المنكرات والنقائص تخفيضاً من شأنه وحطا من قدره لكي لا يكون لنقده وارشاده تأثير على النفوس وأخذ بالمشاعر والحواس . ويكون ذلك اقل ما يلاقيه من يسلك هذه الطريق

وما كانت تلك المخاطرة والمختلقات بمقعدة ابي العلاء عن موالاة التعريض بمن ضل عن الحق من الرؤساء والحكام او عبث بما اؤتمن عليه من المصالح. فلم ينفك عن ذمهم في كثير من اشعاره لا لسخيمة في نفسه ولا لمنفعة شخصية يجنيها من وراء ذلك بل لمحض الاصلاح والمنفعة العامة واليك بعض من اقواله

وجدت الناس في هرج ومرج   غواة بين معتزل ومرج

فشأن ملوكهم عزف ونزف (١)   واصحاب الامور جباة خرج
وهمُ زعيمهمْ انهاب مال   حرام النهب او اجلال فرج
غدا العصفور للبازي اسيرا   واصبح ثعلبا ضرغام ترج (٢)

ولهُ ايضا

ساس الانام شياطين مسلطة   في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص (٣) الناس كلهم
ان بات يشرب خمرا وهو مبطان (٤)

فأثارت هذه الاقوال سخطا شديدا عليه من جانب الملوك والامراء حيث فضح بها خافي أمورهم وأظهر مكتوم اسرارهم فكانت حقيقة مرة صعب عليهم تجرعها بالصمت والسكون . فجعلوا يتحفزون له بالوقيعة و يتأهبون للقضاء عليه وهو مع ذلك لم يتوجس خيفة من مكايدهم ولم يرجع عن نظم مثل هذه الاقوال فيهم تأنيباً لمن حاد منهم عن الطريق السوى او اتى امرا شائناً

(١) العزف من آلات الملاهي كالعود والطنبور وجمعه معازف والنزف مصدر نزف الرجل اذا سكر (٢) الترج موضع كثير الاسود
(٣) الخمص الجوع ورجل خمصان وخميص الحشا اي ضامر
(٤) البطين المبطان الذي لا يزال ضخم البطن من كثرة الاكل

يستوجب التقريع . ولم يقتصر في ذلك على اولى الامر فقط بل اشرك معهم نصراءهم على تلك الافعال ومزينيها لهم . ألا وهم الشعراء الذين هم فى نظره اس البلية واصل الداء فقال

مل المقام فكم اعاشر أمة   امرت بغير صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا (١) كيدها

فعدوا (٢) مصالحها وهم اجراؤها (٣)

فرقا شعرت بانها لا تقتني   خيرا وان شرارها شعراؤها

وعلى ذلك فاني ارجح كثيرا ان الذي وسع دائرة اتهام ابي العلاء بالمروق عن الدين والحيد عنه هو ذمه للامراء والملوك الذين ضلوا الصراط المستقيم وسعوا الى العوج والتشهير بهم واعلان سوءاتهم على رؤوس الاشهاد واشراك من لاذ بهم من الشعراء في هذا المقت والارذال اذ لا يعدم من اولئك الشعراء من يسلط عليه فيتفرد لتقصيد القصائد هجوا فيه وتلفيق الاخبار انزالا من قدره وتسويئاً لسمعته والصاق التهم الباطلة به متذرعا بذلك الى التمليق لاولى الامر والتقرب منهم فلا يرعى في بغيه حرمة للصدق والحق . وكذلك النفوس الدنيئة

(١) استباحوا (٢) تركوا (٣) خدامها

تسير مع الاهواء والاغراض اذا اغدقت باحسان ذويها وبرهم فتبيع ذممها بثمن بخس لا يلبث ان تظهره الايام زائفاً مغشوشا « ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون »

ولا جرم فقد خص الله هذا الفريق من الشعراء بالمقت لهيامهم في وديان الغواية وتركهم سبل الصدق من القول كما اجزل المثوبة لامثال ابي العلاء الذين تحروا الحقيقة في شعرهم وجعلوه ايقاظا للمتوسن وتنبيها للغافل . فقال تعالى « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم يلقون « السمع واكثرهم كاذبون. والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في « كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا « وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون »

ومهما اراد المبطلون المرجفون ان يخفوا الحق فانه لا يلبث ان يظهر مهما طال عليه العهد والقدم ولا يعدم انصارا في كل عصر يحقونه ويزهقون الباطل . فقد ألف الصاحب كمال الدين بن العديم (١) رحمه الله في مناقب ابي العلاء كتابا ذكر

(١) مرت ترجمته

فيه محاسنه وفضائله وقال فيه « ان سائر ما في ديوانه من الاشعار الموهمة فهي اما مكذوبة عليه او هي مأولة كما أولوا كلام (الحلاج) (١) وكلام (بن عربي) (٢) وغيرهما من الصوفية » . ووضع الحافظ ابو طاهر السلفي (٣) كتابا في اخباره ضمنه حسن الظن به وصحة عقيدته . وقال فيه « انه رثاه عند قبره يوم وفاته اربعة وثمانون شاعرا منهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم صوفية » وذكر اسماء كثير منهم

---

(١) هو ابو الغيث الحسين بن منصور الزاهد المشهور من اهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق . لقب بالحلاج لانه جلس على حانوت حلاج واستقضاه شغلا فقال الحلاج « انا مشتغل بالحاج » فقال له « امض في شغلي حتى احلج عنك » فمضى الحلاج وتركه ولما عاد رأى قطنة جميعه محلوجا . وتوفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ مقتولا بامر الامام المقتدر لاتهامه عنده بالكفر والتقول عليه بما اوجب الافتاء باباحة دمه

(٢) هو القاضي ابو بكر محيي الدين بن العربي ولد بمرسية في يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ صاحب التصانيف في التصوف وغيره وكان شاعرا متفننا . كان انتقاله مع والده من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فاقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق ودخل مصر واقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم وتوفى بدمشق في ٢٨ من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ (٣) مرت ترجمته

ولقد قرر الصاحب (بن العديم) الحقيقة بعينها باعتبار ما نسب الى ابي العلاء من اشعار الملحدين اما مكذوبة او مأولة عليه . وأحسن (السافي) في جعل المراثي التي القيت على قبر ابي العلاء يوم وفاته دليلا على حسن ثقة الراثين به واعتقادهم الخير والصلاح فيه . ولولا ذلك لما عطف عليه في حياته امثال هؤلاء الاعلام. ولما ألم بهم الحزن والأسى في مماته . ولما سموا الى قبره مكتئبين راثين

على انه اذا كان لم يتعرض للدفاع عن ابي العلاء او رثائه الا من هم اثبت الناس ايمانا واشدهم تمسكا بالحق وأطهرهم ذيلا في امور دينهم لتأكدنا انهم كانوا عند حسن ظنهم به وثقتهم بصحة دينه وانه حقيق بان يحسب في زمرة الفلاسفة الزاهدين والحكماء الصالحين بما له من آثار حميدة وحكم غالية ومبادئ سامية أرشدت الى جليل عمله ودلت على واسع فضله مما يجب على الناشئة في هذا العصر ان يهتدوا بهديها ويسترشدوا بحكيم آرائها « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »